

جوانب اقتصادية واجتماعية من تاريخ الرحي المائية والرحويين بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط

**Title in English Economic and social aspects from the history of the
water mill and the miller of a water mill the far Morocco during the
middle age**

د. فاطمة بوزاد

جامعة ابن طفيل - القنيطرة/المغرب fatimabouzad85@gmail.com

تاريخ النشر: 2020 /06/28

تاريخ القبول: 2020/05/11

تاريخ الاستلام: 2020 /01/26

الملخص:

لعبت التقنيات المائية والأنشطة الحرفية المرتبطة بها أدواراً أساسية في تحريك الحياة الاقتصادية والاجتماعية في تاريخ المغرب. وحرفة الرحويين تعد واحدة من الحرف المرتبطة بالماء التي لا يستقيم الحديث عنها دون الحديث عن الرحي المائية كتقنية دقيقة، شاع استعمالها بمدن المغرب الأقصى خلال العصر الوسيط نظراً لتوفر شروط إقامتها. وقد انعكست على النسيج الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع المغربي، لتكتل وانتظام حرفييها في تعاونية (الحنطة)، خضعوا لنفس القوانين والتدرج المهني كبقية الحرفيون؛ بحيث وجد الأمين على رأس الحنطة، وفي كل رحي وجد المعلم والمتعلم، كما خضعت لرقابة المحتسب الذي كان يسهر على تطبيق القوانين لحماية مصالح الرحوي والمستهلك.

وعلى هذا الأساس، ستأتي دراستنا المتواضعة هذه كمساهمة علمية تصب مراميها في هذا الإطار، وهو تسليط الضوء على جانب معتم فيما يخص الحرف المائية ويتعلق الأمر بحرفة الرحويين ذات الصلة والرابط المباشر بالرحي المائية. من خلال تحديد بعض الجوانب الاقتصادية والاجتماعية للرحي المائية بالمجال المغربي، والوقوف على تنظيمها الحرفي، وكذا الأوضاع الاجتماعية للحرفيين وأصولهم الاجتماعية.

كلمات مفتاحية: الرحي المائية. الرحويون. المغرب الأقصى. العصر الوسيط.

Summary:

The aquatic technologies and associated craft activities played essential roles in stimulating economic and social life in the history of Morocco. And the miller of a water mill craft is one of the water-related trades which we cannot talk about without talking about water mill as a precise technique; it was widely used in the cities of the Far Maghreb during the Middle Ages due to the availability of the conditions for their establishment. It

مقدمة

إن البحث في موضوع الماء في تاريخ المغرب يجعلنا نخوض في اتجاه تاريخ جديد (تاريخ المنشآت، والنظم والتقنيات،...)، أساسه الانطلاقة من الجزئيات المتحركة في سيورة التاريخ والبناء الحضاري. ومما لا شك فيه أن دراسة المنشآت المائية "الطاحونة المائية" والحرف المرتبطة بها، تكمن أهميتها كونها ضمن مباحث التاريخ الاقتصادي والاجتماعي التي تقوم برصد إرث حضاري حافل بمفاخر عبقرية، وتخطيط محكم، ساهمت فيه طاقات إنسانية سواء فرادى أو جماعات، لتحقيق الرفاه وتيسير الحاجات درءا للصعوبات الطبيعية التي تقف حاجزا أمام طموح الإنسان الجامح، حيث أبدع حيلة وتقنيات كان الهدف منها تسخير الطبيعة لصالحه، وبالتالي تحقيق غايات الاجتماع وال عمران البشري.

ونلاحظ تشديد رائد العمران البشري عبد الرحمان بن خلدون (ق 8هـ/ 14م) على شرط الماء عند التأسيس وأيضا في الحياة الحضرية¹. فالانتقال من الحيلة والوسيلة البسيطة إلى ما يقابله من أشكال التعقيد، ما هو إلا نتيجة لتراكمات حضارية ساهمت فيها الشعوب فاطمة عبر تاريخها المتعاقب والطويل. وتعتبر الرحي

المائية من أوضح الصور لتطور الفكر الإنساني في مجال الابتكار والاختراع لخدمة الإنسان. هذا التطور في الجانب التقني واكبه تطور في المجال الاجتماعي خاصة فيما يخص الحنطة المرتبطة بهذه الحرفة وانتشارها وتنظيمها.

وفي محاولة منا تسليط الضوء على هذه التقنية والحرف المرتبطة بها، ارتأينا الوقوف على بعض الجوانب التاريخية، والاقتصادية والاجتماعية، لهذه التقنية والحرفة المرتبطة بها بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط.

1. جوانب اقتصادية واجتماعية للرحى المائية

1.1 لمحة تاريخية عن الرحي المائية بالمغرب

لم يحسم الجدل بعد من طرف الدارسين حول الموطن الأصلي لظهور الرحي المائية، فقد تضاربت الآراء واختلفت الاتجاهات بهذا الأمر، إذ ذهب بعض الآراء إلى أن ظهورها كان في منطقة الشرق الأوسط، في حين اتجه فريق آخر إلى اعتبار منطقة السند والهند هي الموطن الأصلي لهذه التقنية². وهناك منحى آخر نحاه كل من فلاديمير كارستيف وبيوتر خازانوفسكي Vladimir Karstev et Piotr Khazanovsky³ في تحديد منشأ الرحي المائية، ذهبوا فيه إلى القول بأن الإغريق " أول من فطن إلى أنه إذا كان جريان النهر ذا قوة كافية، فيمكنه تدوير الدولاب ويمكن عندئذ استبدال قوة الماء الجاري نفسها بجهد العبد أو الحيوان، كما فطنوا إلى أنه يمكن للدولاب المائي الدائر ليس فقط رفع الماء، وإنما إنجاز عمل مفيد آخر إذا ما وصلنا محوره بآلية ما، من هذا التقدير بقيت فقط خطوة واحدة لاختراع دولاب الرحي. كما وجدت ملاحظة عند المؤرخ استرابون مفادها، أنه رأى بالقرب من قصر القيصير ميترايدوس في كايبرا طاحونة ماء". وتعد رحي Vitruve أقدم نموذج غربي للرحى⁴. أما الفريد فييرو Fierro Alfred فيذهب إلى أن أول طاحونة مائية أنشئت بإيطاليا في عهد الامبراطور أوغيسست (27 ق.م-14م)⁵.

ويرجع أول ذكر للطواحين المائية بأوروبا الوسطى لعام 340م، وقتئذ شغلت إحداها على نهر الموزيل، أما في فرنسا فقد ظهرت الطاحونة المائية في القرن 6م في مدينة "ديجون"، وفي إنجلترا ظهرت في القرن 8م تقريبا⁶، وفي القرن التاسع أصبحت منتشرة في كل أوروبا الغربية⁷.

أما بالنسبة للمغرب، فيبقى السؤال حول تاريخ ظهور الرحي المائية معلقا، هل قبل أو بعد الاحتلال الروماني؟ أم أن ظهور هذه التقنية كان خلال الفترة الإسلامية؟ علما أن التنقيبات الأثرية التي تمت إلى حدود الآن لم تكشف عن وجود الأرحاء المائية خلال الفترة الرومانية، أما المصادر الإسلامية فهي غنية بالإشارات

إلى تواجد الأرحاء بمختلف مناطق المغرب وخاصة مدينة فاس. فابن حوقل الذي زار المغرب في منتصف القرن الرابع الهجري (4هـ/ 10م) يطلعنا بوجود عدد كبير من الأرحاء المائية بفاس بقوله: "وفاس مدينة جليلة (...) ونهرها غزير الماء عليه أرحية كثيرة"⁸. أما الجزنائي فيخبرنا أن الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين "أقدم من قرطبة جملة من صناعة الأرحاء فبنوا منها كثيرا"⁹. وقد ذهبت إحدى الباحثات إلى أن ظهور الرحي المائية كان سابقا لعهد المرابطين واستندت على ما أورد ابن أبي زرع الفاسي في معرض حديثه عن معركة بين الأدارسة والزنايين قرب وادي المطاحن، فاستنتجت وجود مطاحن مائية بأحواز فاس ونورد نص قوله: "وفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة خرج الأمير الحسن المعروف بالحجام إلى قتال أبي العافية فالتقا معه بفحص الزاد على مقربة من وادي المطاحن"¹⁰.

وعليه، نتساءل، لماذا استقدم يوسف بن تاشفين مهندسين من قرطبة لإقامة الأرحاء؟ ألا يعد ذلك مؤشرا على عدم تواجد هذه التقنية بالمغرب قبل العهد المرابطي؟ أليس ذلك مؤشرا على أن هذه التقنية دخلت إلى المغرب عن طريق الأندلس؟

الحقيقة، أن المصادر لا تسعفنا للحسم في تاريخ ظهور المطاحن المائية بالمغرب، وإن كان المعروف، لحد الآن، هو انتشارها في مناطق عديدة بالمغرب خلال العصر الوسيط، والتي توفرت فيها الظروف لإقامة الأرحاء المائية من وفرة للمجاري المائية والمعطيات الطبوغرافية المساعدة على اندفاع المياه بقوة لإدارة محركات الأرحاء وانتشار زراعة الحبوب¹¹، وتبقى على رأس هذه المناطق فاس وسبتة وأغمات، ففي وصفه لأغمات يقول الحميري: "وبها نهر جريته من القبلية إلى الجوف يشق المدينة بعضه وماؤها زعاق وعليه أرحاء وحوله بساتين كثيرة"¹². أما الأنصاري فيحدد أعداد الطواحين بسبتة التي تقدر "بمئة وثلاث" ويذكر أسماء أهمها و"أعظمها الطاحونة التي بالمسمارين ضخمة الأبنية، واسعة الأقنية كثيرة المدارات تحتوي على مخازن وقاعات ومسكن وتليها في الكبر طاحونة أبي السعد الحضرمي وطاحونة مقبرة زكلو وطاحونة أبي الحسن الشماع وبغربي البلدة طاحونة الزياتين وطاحونة الحلفاويين وطاحونة الكمادي"¹³.

وفي حديثنا عن الأرحية المائية لابد من الإشارة إلى أن سكان بعض المناطق بالمغرب كانوا يتطيرون من إقامة الأرحاء على الأنهار¹⁴. وهو ما يورده البكري في وصف مدينة إيجلي في السوس بأنها "مدينة كبيرة سهلية بغربها نهر كبير جار من القبلية إلى الجوف، عليه بساتين كثيرة متصلة ولم يتخذوا قط عليها رحي، فإذا سئلوا عن المانع لهم من ذلك قالوا: كيف يسخر مثل هذا الماء العذب في إدارة الأرحاء"¹⁵. والأمر نفسه يؤكد الحميري عند حديثه عن وادي ماست "نهر عظيم في بلاد السوس الأقصى بالمغرب، يصب في المحيط جريه

من القبلية إلى الجوف، كجري نيل مصر، عليه قرى متصلة وعمارات كثيرة وبساتين وجنات وأنواع من الفواكه والثمار والأعشاب وقصب السكر ولم يتخذ الساكنون على هذا الوادي قط رحي، فإذا سئلوا عن ذلك قالوا: نتخذ الماء المبارك في إدارة الأرحاء!! وهم يتطيرون بها¹⁶.

يتضح من خلال ما سبق، أهمية منشأة الرحي من خلال الأرقام المسجلة في المصادر التاريخية على الرغم من الاختلاف والتباين على مستوى الأعداد إلا أنها تجمع على الأهمية العددية للأرحية المائية بمدن المغرب الأقصى خلال العصر الوسيط.

2.1 أنواع الرحي المائية ووظائفها

يمكن التمييز بين نوعين من الأرحاء المائية، فهناك الرحي ذات المحرك العمودي، والرحي ذات المحرك الأفقي، استعملت لأغراض ووظائف متعددة، فبالإضافة إلى دورها الرئيسي في طحن الحبوب، كانت لها استعمالات متعددة في توفير المواد الأولية الغذائية وبعض المواد الكيماوية التي تستخدم في دبغ الجلود¹⁷، وكذلك حرفة الفخار التي كانت تستفيد من الأرحاء المائية لتوفير مادتها الأولية، ويذكر في هذا الصدد ألفريد بيل أنه كانت بمدينة فاس طاحونة مائية، تتوفر على جوجين من الأرحاء الأولى كانت مخصصة بسحق الرمل أو رمل مكناس الذي يستخدم في صناعة الخزف، أما الرحي الثانية فكانت خاصة بالمواد المعدنية¹⁸.

إلى جانب "أرحية الخفيف" التي تطحن فيها مواد تستخدم في زخرفة الخزف، وجدت أرحية لطحن الحناء، وأخرى مخصصة "لعصر الزيتون ولدمت التفاح الذي حضر منه المشروب المفضل عند الرومان¹⁹". كما وجدت أرحية لصناعة الورق، الذي كان يصنع من معجون الكتان والقنب الذي ينقع في ماء الجير ثم يمرر في طاحونة "رحي" مع استخدام الغراء أو النشا ومزجها مع المعجون، ويسوى بعد ذلك ويلمس باستخدام القالب "القرميد" حتى يصل إلى لوح الورق المناسب ثم يجفف²⁰. كما استعملت الرحي في طحن وعصر قصب السكر²¹.

هكذا يبدو أن الطواحين المائية لم تكن أحادية الاستعمال، بل كان لها دور اقتصادي مهم تساعد أصحاب الحرف على توفير مادتهم الأولية التي يحتاجون إليها في حرفتهم، مثل سحق بعض المعادن التي تدخل في صناعة الخزف ودباغة الجلود، وكذلك طحن الحناء التي تستعملها النساء في عملية التجميل، إلى جانب استعمالها في عملية الصباغة.

3.1 الجوانب الاقتصادية للرحي المائية

أضحت الرحي كمنشأة عمرانية وكمؤسسة اقتصادية مرفقا حيويا مثل العديد من المرافق كالمسجد والفران والحمام والسوق. ولما كان إنشاء الارحية وصيانتها وإدارتها يتطلب مصاريف، فقد كانت ملكيتها والاشراف عليها يتم من طرف مجموعات بشرية، أو قبلية، أو عائلية، أو خاضعة للسلطة السياسية، أو في ملكية شخصيات معروفة، وبفاس كان عدد كبير من الارحاء المائية في ملكية الاحباس خصصت مداخلها لجامع القرويين وصيانة المنشآت الدينية²². كما كان عملها خاضعا للمراقبة من طرف نظام الحسبة²³. إذ تكشف كتب الحسبة²⁴ عن جوانب أخرى تهتم أصحاب الأرحاء أو القائمين عليها، وتوصي بمراقبتهم نظرا لكثرة الغش الذي يطال الدقيق المطحون كاستبداله بآخر أقل جودة، أو النقص من وزنه ومقاديره أو إفساده لسبب من الأسباب، فقد كان السقطي الذي اشتغل في شؤون الحسبة يراقب الارحاء بواسطة الشهود والأمناء من أجل المحافظة على قيمة الدقيق حتى لا يطاله الغش. كما حذر ابن عبدون من الغش في الأرحاء بقوله: " يجب ألا يأخذ المقاص في أرحية الماء أكثر من عشرة أرتال، وإن حمل للرحى موزونا ولا يمض عليه صاحبه أنه يأخذه بالوزن الذي بعثه به، فإن نقصه شيء غرمه المقاص ويحكم عليه بذلك"²⁵. وهو ما عبر عنه أبو المطرف في أحكامه، بمن يحمل الطعام إلى الطحان فيجلس عليه يطحنه، فيصفي الرحي²⁶.

لقد أدى ظهور تقنية الرحي المائية إلى الرفع من الإنتاج والمردودية كما ساهم في اقتصاد الجهد والوقت، وازداد عددها بتوفر الامن والاستقرار باعتبارهما من شروط النمو والازدهار الاقتصادي، إلى جانب ظهور مجموعة من الحرف والصناعات المرتبطة بالرحى المائية، كالقوادسية والنواعرية والرحاوية والطحينية²⁷. والتي ساهمت في توفير العمل وأصبحت وسيلة عيش ومصدر رزق للعاملين بها²⁸. كما تولدت عنها مجموعة من المعاملات التجارية كالكرء والمشاركة والبيع والشراء والشفعة وتقسيم الحصص.

4.1 الجوانب الاجتماعية للرحى

شكل الماء أساس الزراعة والارحاء، فهذا القاسم المشترك بين النشاطين كان في أحيان كثيرة مصدرا للنزاعات التي تنشأ بين أصحاب البساتين وأرباب الارحاء حول حقوق الماء وخاصة في فترات الجفاف، وتحفل كتب النوازل بالكثير من القضايا والخصومات والتي حسمت لصالح المزارعين بإعطاء الاسبقية لأصحاب البساتين " لأن الثمرات إن لم تسقى في وقتها هلكت والرحى لا تهلك بقطع الماء عنها، وإنما تنقطع المنفعة في ذلك الوقت"²⁹، وهذا ما دفع الباحث محمد بنعميرة إلى اعتبار أصحاب الأرحاء ضحايا التشريع الفقهي والأعراف، وهو ما فنده باحث آخر الذي رأى أن هذا التفضيل لا يلغي مكتسبات الدقاقين بقدر ما هو تأجيل استفادتهم في إطار ترتيب الأولويات³⁰. فالتعطيل المؤقت لعمل الارحاء لن يلحق الضرر بها "وإن كان الضرر ينتقل إلى العاملين بها فيحالون على البطالة"³¹.

كما ظهرت خلافات بين أصحاب الأرحاء أنفسهم بسبب إحداث أرحاء جديدة إلى جانب أخرى قديمة³²، "أو تغيير ساقية أو سد إحدى المطاحن أو رفعها إلى أعلى، لذلك أفتى الفقهاء بمنع إحداث رحي على نهر فوق رحي قديمة لأن ذلك "يضر بها في نقصان طحن أو كثرة مؤونة أو غير ذلك"³³. كما أن تنوع الأرحاء كان يزيد من حدة هذه الخصومات وتأجيجها "وإذا ما اختلطت الأمور وتعددت النزاع فالعلماء يستعينون في فحص المسألة بتقرير يرفعه أصحاب البصر"³⁴. وبهدف التخفيف من هذه الخصومات كان يتم اللجوء إلى سلطة الفتوى بتدخل بعض الأعراف القبلية في توزيع المياه، الشيء الذي لم يعارضه الفقهاء بسبب مقاصدها في حصول توافق اجتماعي يتجه نحو التضامن أكثر منه نحو النزاع. وهكذا تعايشت الأعراف والعادات مع فلسفة الأحكام الشرعية.

2. حرفة الرحوي

. إن الحديث عن حرفة الرحوي أو الرحويين في الحقل التاريخي، له من الأهمية بمكان في دراسة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي لأي مجتمع. ورغم قلة حضور ذكرها في المصادر الإخبارية، فإن هناك من الرحالة والكتاب الأجانب ما أثار انتباههم لأصحاب هذه الحرفة، إما لكثرة عددهم أو لطريقة اشتغالهم ووضعتهم داخل المجتمع، مما جعلهم يعرجون عنها في كتاباتهم، وهو ما يدل على أن حضور هذه الحرفة داخل المجتمع له وزنه وفعله التاريخي، وخصوصا أنها ظلت مرتبطة بمادة حيوية وهي "الماء" الذي يرتبط بمختلف أنشطة الإنسان اليومية.

وعلى العموم، فالحرفيون شكلوا قاعدة بشرية واقتصادية أساسية في المدن المغربية، فكان تجميع كل حرفة داخل حي خاص يحمل أسمها ك: النجارين والسرايرية والقبابين والسلالين وغيرها، وتعرف هذه التجمعات الحرفية بالحناطي³⁵، وقد عرفها ماسينيون Massignon بأنها مجموع المعلمين والعمال والمتعلمين المتعاطين لنفس الحرف الصناعية أو التجارية³⁶.

وتعتبر حرفة الرحويين من الحرف المرتبطة بالمواد الفلاحية أيضا، يسهرون على طحن القمح وباقي أنواع الحبوب الأخرى كالشعير والذرة والفلو³⁷. إلى جانب إصلاح كل خلل طارئ على أجزاء الرحي، فضلا عن تخديش سطحي حجري الرحي بين فترة وأخرى، وذلك بنقرها نقرا خفيفا كلما أصاب سطحيهما السوفان. وللقائم بإصلاح وترميم وإدامة الرحي عدة أدوات خاصة بمهنته ومنها أكسيديا أو أكسييرا الذي ينقر به حجري الرحي³⁸. وعندنا أيضا إشارة لهذا الاسم جاءت بها المصادر ولمزيد من التفصيل أنظر الهامش³⁹.

وبعد هذه المرحلة وبلوغ غاية الاقتراب من فك طلاس حنطة الرحيوية سنقوم في البداية بالتعرض للمظهر الاجتماعي للرحي.

2.1 المظهر الاجتماعي للرحي

إن انتشار الأرحية وبالخصوص المائية منها، خلق تحول سوسيو اقتصادي مهم، تمثل في خلق يد عاملة متخصصة في طحن مواد ومنتجات متنوعة وخاصة الحبوب منتظمة في تجمعات تسمى الحنطة. وانطلاقاً من العصر الوسيط فالرحويون خاصة منهم الفاسيون كانوا منتظمين في هذه التجمعات، مثلهم مثل غالبية الحرفيون، ويتعلق الأمر أساساً بتنظيم الإنتاج في إطار تجمعات، وهي تنظيمات تجمع جميع الأشخاص المزاولين لنفس الحرفة. وكل حنطة لديها أعضاءها الخاصة الذين ينظمون ممارسة المهنة تحت مراقب المحتسب الذي له دور كبير في امتصاص النزاعات، كما أن دوره يتجاوز الإطار التنظيمي والقانوني، ليصبح معبراً عن العلاقات الاجتماعية⁴⁰.

أما عن حنطة الرحويين فكانت جد مهمة من حيث عدد المنخرطين (العمال) وكذا الدور السوسيو اقتصادي الذي لعبته في الحياة اليومية بالمدينة المغربية خلال الفترة قيد الدراسة، وتجمع المصادر الجغرافية على غنى المغرب الحرفي خاصة فيما يتعلق بعملية الطحن، إذ يحصي صاحب وصف إفريقيا، أكثر من 400 طاحونة (أي بناء يحتوي على أرحاء لأنه يمكن أن يبلغ عددها ألف رحي⁴¹).

فالأرقام المقدمة من طرفه تظهر حياة اقتصادية غنية أكثر غنى من حياة القرن العشرين⁴²، حيث أنها شغلت في ذلك الزمان أكثر من 2000 عامل، وهو رقم مهم، قد يبدو مبالغ فيه إذا لم نعتبر الازدهار العام للحرف التقليدية في ذلك الوقت وخصوصاً حرفة الطحن وما يتعلق بها. كما نجد روجي لوتورنو في كتابه "فاس قبل الحماية" يبين لنا الأهمية الاجتماعية لهذه الحرفة التقليدية التي كانت تشغل خلال فترة الحماية الفرنسية 700 عامل⁴³، يشترون الحبوب من أسواق فاس وغيرها ويقومون بطحنها وبيع الدقيق والنخالة لحسابهم الخاص وهؤلاء كانوا يستغلون 98 رحي⁴⁴، وهو عدد مهم إذا ما قارناه بمراكز أخرى من مدن المغرب، كما هو الشأن بالنسبة لمدينة دمنات التي كان بها مائة رحي يعملون في المدينة ونواحيها⁴⁵.

.وانطلاقاً من هذا العدد المهم للأشخاص الذين يعيشون من هذا النشاط، تظهر لنا الأهمية الاجتماعية لهذه الحرفة التي تعيش منها طبقة اجتماعية جد مهمة، بل وأكثر من هذا فهي تلبي حاجيات فئة واسعة من الزبناء من مختلف المواد. كما أن هذه الحرفة تشكل مصدر رزق لعائلات كثيرة، إلى جانب مساهمتها في تنشيط اقتصاد المدينة.

2.2 الوضعية الاجتماعية للرحويين

إن أبرز ما يمكننا تسجيله في هذا الإطار هو أن وضعية الرحويين الاجتماعية تختلف حسب وظيفتهم أي حسب كونهم متعلمين، عمال أو معلمين. وهذا طبعا تصنيف يوجد داخل كل حنطة بالمغرب⁴⁶.

أ. المتعلمين: يتعلق الأمر عموما بشباب وأطفال أحيانا صغارا، إذ بإمكان توظيفهم منذ سن العاشرة. وتذكر إحدى الباحثات مثال ابن المعلم الشركي أو محمد الرحوي العامل في مطحنة المرينسي⁴⁷. وظروف تشغيل هؤلاء المتعلمين هي بالأساس القوة والجد، لذا يجب أن يكون المتعلم كبير بما يكفي. ومهامهم تتلخص في غسل الحبوب وتصنيفها وهم مكلفون أيضا بتسليم الدقيق للزبناء.

ب. العامل: على عكس المتعلمين المذكورين أعلاه يكلف العمال بمهام أكثر دقة، فالعامل يخلف المعلم الرحوي (صاحب الطاحونة)، فيقوم بكل مراحل العملية الخاصة بطحن المنتوجات (دقيق، سميد، تكاوت، حناء...)، والفرق بين العامل والمعلم الرحوي هو أن هذا الأخير هو المالك الشرعي للطاحونة ولوسائل العمل. أما العامل فيبقى مستخدما لدى المعلم⁴⁸.

ج. المعلم الرحوي أو رب العمل: يمكننا بسهولة ملاحظة بأن المعلم الرحوي هو رب العمل المطلق للطاحونة سواء كان مالكا أو مكتريا، فهو الذي يصدر الأوامر. وبفضل إرادته تشتغل الرحي، وهو أيضا مالك أدوات العمل والمادة الخام المستعملة وكذا المنتج النهائي. ورغم ذلك ميزت إحدى الدراسات بين نوعين من المعلمين الرحويين:⁴⁹

✓ الطراحية: وهم رحويون يشترون القمح بأنفسهم ويبيعون الدقيق والنخالة لحسابهم الخاص، كانت هذه الفئة تهتم ب 98 طاحونة مع 150 زوج من الرحي.⁵⁰

✓ الطحانية: وهم الرحويون المهتمون بطحن قمح الخواص ويتقاضون لأجل ذلك النخالة كأجرة، بالإضافة إلى مثقال لكل كمية. وحسب لوتورنو هؤلاء الرحويون كان لديهم 56 طاحونة و 75 زوج من الرحي⁵¹.

ونجد إشارة عند الحسن الوزان يتحدث فيها عن هذين التخصصين قائلا: " ويطحن قسم من سكان الضواحي قمحهم في المدينة ويوجد بعض الباعة يدعون الدقاكين، لهم طواحين يستأجرونها يشترون الحب ويطحنونه ثم يبيعون الدقيق في دكاكين مستأجرة كذلك فيحصلون من هذه المهنة على ربح وفير، لأن جميع الصناع الذين لا تكفيهم وسائلهم لامتياز الحبوب يشترون القمح ويطحنونه في بعض الطواحين الخاصة بأبناء المدينة مقابل (بايلوتشي) لكل كيل (رودجيو) وجل هذه الطواحين في ملك الجوامع والمدارس، والقليل منها في ملك الخواص، وكراؤها مرتفع يبلغ مثقالين لكل رحي⁵².

إلى جانب صنفي الطحانين الذين تقدم ذكرهم، وجد طحانين يسحقون مواد تدخل في صناعات مختلفة كما سبق الذكر بالنسبة لأنواع الرحي، فإذا كانا يعملان من الناحية التقنية في نفس الظروف كسائر الطحانين، فإنهما غريان عنهما تماما من الناحية الاقتصادية، إذ ليس لهم نفس الزبناء، ولا نفس المصالح، ولا نفس الدورة العملية⁵³.

ومن الإشارات الواجب الإدلاء بها هنا، أنه ليس هناك قانون يحدد عدد المتعلمين لكل طاحونة أو مدة التعلم كذلك.

3.2 المكانة الاجتماعية للرحويين

كان الصناع التقليديون لا يستفيدون من نفس الوضع داخل نفس المدينة، إذ أنه بإمكاننا جرد وإحصاء تراتبية لحرف تنطلق من الحرف الأكثر نبلا إلى الحرف الأكثر دنوا، وهكذا فتعاونية الرحويين كانت مصنفة من بين الأنشطة التي تقع في أسفل السلم، على عكس نساج الحرير أو الصوف أو القطن الذين كانوا يشكلون ما يمكن أن نطلق عليه أرستقراطية الصناع التقليديين. ومؤكد أن هؤلاء لم يكن لهم الوسائل المادية اللازمة لتطوير مستواهم المعيشي، لكن حرفتهم تمكنهم من العيش دون أن تغنيهم.

أما عن الرحويين⁵⁴ بشكل مضبوط فرغم حياتهم الصعبة والفقر، فهم في المجمل يتوارثون عملهم أبا عن جد منذ القدم، إذ يشير ابن عذاري، إلى أن " إبراهيم بن أحمد بن عبدون بن أبي ثور، كان جده طحانا"⁵⁵. كما يفيدنا الجزنائي في هذا الشأن بذكره قيام الأمير يوسف بن تاشفين، باستقدام بعض الصناع من قرطبة، لإقامة مجموعة من الأرحية المائية بمدينة فاس⁵⁶. يعملون فيها ليل نهار حسب ما جاء عند ياقوت الحموي⁵⁷.

أما عن سير العمل، فعمل الرحويين كان شبه مطلق، فالتوقيت تقريبا مستمر مع التوقف فقط للفرائض الخمس، أو بالتناوب ليلا ونهارا كما جاء سلفا في إشارة الحموي الذي يعتبر المصدر الوحيد في العصر الوسيط الذي أشار إلى ذلك حسب ما توصلنا إليه. تضم أكثر من عامل وبعض المتعلمين الذين غالبا ما يكون عمرهم 7 أو 8 سنوات. وتطفوا هنا مهمة المحتسب المتمثلة في مراقبة أثمان القمح وثمان الطحن وكذا ضبط الموازين والمكاييل⁵⁸.

وإذا عدنا لنظام العمل الليلي داخل الحنطة قيد الدراسة نجد ياقوت الحموي يؤكد هذا الأمر من خلال مروره بطاحونات الماء بمدينة فاس وهو ما يفسر الاقبال المتزايد على مؤسسة الرحي.

ومن خلال ما سبق، يبدو أن مؤسسة الطاحونة كانت تخضع لمسطرة منظمة لسير العمل داخلها. كما كان يشترط على الرحويين تخميل مجاري الوادي المستفاد منه داخل المدينة، لأن الماء لما كان لأهل المدينة وصار الرحويون ينتفعون بالطحن عليه تكلفوا بتخميله في مقابل انتفاعهم به على ما تقرر به العمل من قديم العصور. وكل من حدث انتفاعه بماء المدينة لتدوير مكنية طحن أو غيره، فحكم الرحويين شامل له.

والإجراءين إيرادهما من طرفنا ليس من فراغ، بل لكي نوضح الوضعية التي كان يعرفها الرحي ونلخصها فيما يلي: أن العمل في المطاحن كان محتقرا من قبل الفاسيين عموما "59"، لأنهم ممن كانوا يعيشون عيش كفاف في فئة الفقراء، إلى جانب بعض المأجورين أو المستخدمين ذوي الأجور الضئيلة وأغلبهم من المهاجرين والباحثين عن الشغل كالحماله والكرابة والعنالة والفحامين والرحويين وأصولهم في الغالب من تافيلالت وتوات ودرعة وسوس "60" ومادامت مسألة الأصل قد طرحت هنا فسنعود لها بالتحليل فيما هو قادم. أما أصحاب الأرحية فهم معلمو الحرف وأمناؤها وعرفاؤها ومالكوا الأفران أو الطاحونات المشغلون لعدد من المتعلمين والصناع "61".

وعن وضعيتهم يقدم أحد الباحثين إشارة في هذا الإطار مفادها " وبالرغم من كون الصناع كانوا يقومون بخدمات لا غنى عنها في إطار المجتمع الزراعي التقليدي، فإنهم لم يكونوا يحظون بتقدير ذلك المجتمع ولا محسودين على مكانتهم فيه مثلما كانوا في فاس، بل كانت العقلية الزراعية تحقرهم، وبينما كان امتلاك الرحي المائية من علامات اليسر كان الاشتغال فيها مهانة بهجو بها شاعرهم محاورته: "بابام أيكأ أرحوي العدور كاسو كان إيعيش".

"إنما جئت من مرج عيشه من عشور الطحين"62

فالبيت الشعري تأكيد على ارتباط حياة العامل في الطاحونة المائية بما يمنحه السكان من دقيق مقابل المجهود العضلي، على عكس استفادة مالكي الأرحية، الذين يعتبرون من فئة الميسورين إلى درجة أن مردودية امتلاك رحي مائية بدمنات يفوق في أرباحه امتلاك دكان للدباغة بالملاح. أما العدور فهو ذلك الأجر الذي يتقاضاه الرحيوي: يقول التوفيق: " وكان السكان يطحنون فيها مقابل نسبة تسمى العدور "63.

وفي ذات السياق نجد إشارة عند لوتورنو يقول وأخيرا فإنه لم يكن يتقاضى راتبا رسميا بصفة خاصة وإنما كان يجعل لنفسه على حساب أهل الحرف أي المساكين إتاوة هامة نقدا أو عينا. وعلى سبيل المثال كان يدفع له كل صاحب طاحونة 6 بسيطات في الشهر وبائعوا السميد والخبر 60 أوقية "64.

وهناك مثال حي رصدناه من خلال زيارتنا لمنطقة أنكال حيث التقينا برحوي ورث الحرفة عن أجداده، يحكي لنا بأن ما يسري حاليا هو ما ألفى عليه أسلافه من حيث التنظيم والأجرة، والتي لخصها في العصور⁶⁵ وهي نسبة يمكن أن نقدرها ب 10% من الطحين تكون من نصيبه فقط، هذا إذا كانت كمية الحبوب المطحونة كثيرة أما إذا كانت قليلة فهو يحتفظ لنفس المد العاشر وهكذا دواليك إلى أن يجمع تلك النسب والتي لا تتعدى 10 كلف في الأسبوع أحيانا يبيعه ليشترى منها السكر والزيت ولوازم المنزل. وبالإضافة للسنوات العجاف التي تؤثر على الحرفة فيمكن إضافة الطاحونات العصرية التي قضت على آمال هؤلاء في تحسين وضعهم بل وحتى في ضمان قوت يومهم. وهذا ما يفسر القولة التي صادفنا بها المعلم مولاي محمد أيت لحسن أو مبارك حيث سألناه عن حرفته فأردف قائلا (حرفة الحفا هيا هذي) ولقد أوردناها كما هي حفظا للأمانة العلمية ولكونها تحتوي على مدلول ومضمون أقوى وأعمق من أي شرح مستفيض لوضعية هذا الحرفي الذي بدأ يدب فيه التحلل وينتشر في أوساطه الفقر كما السرطان⁶⁶.

ولأن تحديد الوضعية يستوجب التطرق إليها من عدة زوايا من زاوية الحرفي وكذا الزبون أو الطاحن، هنا كان لقاءنا بشيخ كبير كان يتردد على الطاحونة في الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي لطحن الحبوب بنفس المنطقة الأنفة الذكر. ويصف لنا طقوس الطحن أوصاف تدل على أنها كانت عملية ينتظرونها بشوق كل شهر تقريبا، حيث يأخذون الحبوب والزاد وتستمر العملية هذه ما بين 16 و 24 ساعة في انتظار الدور لكي يطحن الزبون، وليصل هذا الدور يتمتع هؤلاء بتبادل أطراف الحوار أو الاستجمام في النهر والتلذذ بأكل فاكهة التين مع أخذ تقريبا 3 وجبات يقدمها الرحوي لهم، ولما تساءلت عن مقابل ما يقدمه لهم هذا الرحوي أجابني الشيخ بأنه يجب عليه إكرامهم لان الماء ماء الله ويأخذه الرحوي مجانا.

وعموما فكلها أوصاف تدل على أن موعد الطاحونة كان موعدا مميزا عند هؤلاء، لكن ما هو حال الرحوي في هذا السياق؟ فعلا سؤال أجابنا عنه الشيخ في متم حديثه قائلا بأنه يجب على الرحوي أخذ كل الحيلة والحذر من الحبوب ومراقبة الرحي بشكل دقيق تفاديا لعدم تسرب القمح أو غيره لأسفل الرحي، هذا من جهة ومن جهة أخرى تفاديا لإفساد الطحين سواء من حيث الحجم أو غيره.

وفي هذه الحالة يحدث النزاع بين الطرفين ليتدخل الأمين لفض النزاع، ويصبح من المفروض على الرحوي إعطاء تعويض قيمة ما أفسده حبوبا من نفس النوع وطحنها من جديد، أو تعويضها وترك اختيار الطحن للزبون الذي عادة ما يغير الطاحونة لأخرى. وهذا ما يخلق التميز بين أوساط الرحويين إذ نجد معلمين اشتهروا

بحدقهم وجديتهم في العمل مما أكسبهم خبرة وشهرة وثقة وهي الأساس جعلت الزبائن يتقاطرون عليهم من كل حذب وصبوب.

في حين ظل الرحوي الحلقة الضعيفة في هذه العلاقة. ويمكننا أن نشبهه فعلا بحبة القمح وسط الرحي التي يتهددها السحق. من جهة تضغط عليه الرحي العليا في صفة الأمين بقوانينها وضوابطها ومن جهة أخرى الامتثال لشروط الزبون المبالغ فيها أحيانا. وكما قال لنا المعلم الرحوي (العصا والدعوة) وهي وضعية تبرز ما عاشه وعرفه الرحوي من تهميش ونقصان⁶⁷

4.2 الأصول الاجتماعية للرحوية

وقبل أن نختم هذا الشق نرى من اللازم التعرض لنقطة سبقت إثارتها وهي حول أصل الرحويين، وهنا نجد إشارتين تجعلهم ينحدرون من أصول مغربية وأخرى أندلسية، إذ يفيدنا الجزنائي في هذا الشأن قيام الأمير يوسف بن تاشفين، باستقدام بعض الصناع من قرطبة، لإقامة مجموعة من الأرحية المائية بمدينة فاس⁶⁸. وهو الأمر الذي قد يدل على أن الرحي المائية أدخلها معلمين أندلسيين إلى المغرب. وهذا الطرح قد يتعارض مع قول ابن أبي زرع⁶⁹ في معرض حديثه عن معركة بين الأدارسة والزنايين قرب وادي المطاحن، كون الرحي قديمة الوجود بالمغرب وبالتالي أن المغاربة هم صانعو الرحي. ورغم ما تنطوي عليه هذه الإشارة من غموض حول الأصول الاجتماعية للرحويين، وما تثيره من تساؤلات من قبيل لماذا استقدم يوسف بن تاشفين مهندسين من قرطبة لإقامة أرحاء بفاس؟ ألا يعد ذلك مؤشرا على عدم وجود هذه الحرفة بالمغرب قبل العهد المرابطي؟ أليس ذلك مؤشرا على أن هذه التقنية دخلت إلى المغرب عن طريق الأندلس؟

مهما يكن، وإن لم تسعفنا المصادر للحسم في الأصول الاجتماعية للرحويين بالمغرب، فإن التابث هو انتشارها في العديد من مناطق المغرب خلال الفترة المدروسة، وهو الأمر الذي يشير إلى وجود رحويين بمجموع المغرب خلال عصر بني مرين.

وفي هذا الإطار وكما هو معروف أن المغاربة كانت لهم أسماء عائلية يعرفون بها ويدعون بها، وقد اعتنى المهتمون قديما وحديثا بجمعها وترتيبها، وهي إما تحمل أسماء قبائل، وإما يحملون ألقاب وظائفهم كالوزير والخطيب، والغرابلي والديباغ والنواعري⁷⁰، والدقاق، إذ يفيدنا بهذا الشأن ابن الزيات في تشوفه⁷¹ أن أحد كبار مشايخ المتصوفة يدعى أبو عبد الله الدقاق وهو من أهل سجلماسة الذي كان يتردد إلى مدينة فاس، فكلمة الدقاق تحيل إلى حرفة الطحانيين المشتغلين في الرحي، كما جاء ذلك عند الحسن الوزان سابقا.

كما يحدد في هذا الصدد أحد الباحثين أن: "ظاهرة التخصص القبلي كانت جد معروفة، حيث أن المهن كانت مقسمة في غالب الأحيان حسب الانتماءات اللغوية والدينية، يوجد «الكرابة والعائلة والفحامين والرحويين وأصولهم في الغالب من تافيلالت وتوات ودرعة وسوس»⁷² وكذلك "كان العائلة المشتغلون بفلح البساتين والاعتناء بالناعورات وحفر الآبار من درعة أو سوس، بينما كان البقالة وأهل الأراحي من سوس"⁷³.

ولكن نلاحظ أن مهنة الرحوي تعد خاصية منفردة في هذه القاعدة، لأنها المهنة الوحيدة حسب معلوماتنا التي كانت تمارس من طرف حرفيين متنوعين من مختلف جهات المغرب وحسب أسماء الرحويين تمكنا من معرفة قبائلهم الأصلية. هناك أسماء المعلم الشرقي والمعلم ميسوري ومعلم مصباحي، يدلون على قبائل مجاورة لمدينة فاس. على عكس المعلم الفيلالي والتواني المنتمون لقبائل الجنوب المغربي، لكن رغم اختلاف قبائلهم الأصلية الرحويون متضامنون فيما بينهم، هناك بعض الاحترام المتبادل⁷⁴، وهذا هو الأهم في نظرنا المتواضع إذ لا تهم الأصول بقدر ما يهم الاتحاد والتعاون ولعل البحث في الأصول من شأنه إحداث هوة وخلق فوارق نحن فعلا لسنا بحاجة إليها على الأقل في عصرنا الراهن.

الخاتمة

صفوة الكلام، أن العمل الذي قمنا به يبقى محاولة متواضعة ولينة نتمنى أن تنضاف إليها لبنات أخرى حتى تكتمل الصورة أمام المهتمين، في إعادة كتابة تاريخ الحرفيين والصناع، من خلال التعرف على فئة اجتماعية كان لها دورا حاسما في الجانب الاقتصادي والاجتماعي للمغرب. فقد شكل الصانع الرحوي مع باقي الصناع قاعدة بشرية واقتصادية داخل النسيج المجتمعي المغربي، هذه الأهمية تعكسها عدد الأرحية والمشتغلين فيها. والتي ماهي إلا نتيجة لتزايد الطلب على منتوجاتها في مقدمتها (الدقيق بكل أنواعه) من لدن فئات المجتمع قاطبة. كما لا تفوتنا الفرصة دون التذكير بأن مغرب العصر الوسيط وإلى الآن يعتبر من أكبر مصدري المنتوجات الجلدية والخرفية، لذلك أنشأت طواحين خاصة لتلبية حاجيات صناع هذه الحرف. فالطواحين على مختلف أشكالها وإنتاجاتها كانت لها أبعاد اجتماعية واقتصادية واضحة المعالم والتجليات، شكل عنصر الماء حجر الزاوية وعنصر الارتكاز في اشتغالها وعطائها وديمومتها.

فلا يخفى على الدارسين للتاريخ أن غياب معلومات دقيقة حول العامة في المجتمع المغربي مثل طبقة الحرفيين والصناع خاصة، هي من الثغرات التي تجعلنا مترددين في الإجابة عن بعض الأسئلة، ونكتفي بالإجابة

(قالوا كذا والله أعلم.) ولذا لابد من مقارنة الموضوع بشموليته وربطه بالهياكل الاجتماعية والاقتصادية المفسرة لهذه العلاقات وتحولاتها من أجل الحصول على استنتاجات موحدة تعتبر مدخلا نظريا للتاريخ المغربي.

الهوامش

- ¹ - ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2009، ج 1، ص. 374.
- ² - كنتوري عائشة، الرحي المائية بفاس، أعمال ندوة الماء بتانسيغت: تاريخ وتقنيات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش، 2002، ص. 88.
- ³ - فلاديمير كارستيف وبيوتر خازانوفسكي، آلاف السنين من الطاقة، ترجمة محمد غيات الزيات، عالم المعرفة، العدد 187، 1994، ص. 32.
- ⁴ - الكنتوري عائشة، الرحي المائية بفاس، ضمن أعمال ندوة الماء بتانسيغت، تاريخ وتقنيات، مراكش، 2002، ص. 89.
- ⁵ - Fierro Alfred, *Histoire dictionnaire des 300 moulins de paris*, édition programme/compagnie parisienne du livre, 1999, p. 16.
- ⁶ - فلاديمير كارستيف وبيوتر خازانوفسكي، م س، ص. 34.
- ⁷ - Fierro Alfred, op. cit., p. 18.
- ⁸ - ابن حوقل، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص. 89.
- ⁹ - الجزنائي علي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، المطبعة 2، 1991، ص. 12.
- ¹⁰ - ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص. 82.
- ¹¹ - عائشة الكنتوري، م س، ص. 90.
- ¹² - الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لندن، الطبعة 2، 1984، ص. 46.
- ¹³ - الأنصاري محمد بن القاسم، الأخبار عما كان بسبته من سني الآثار، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الطبعة 2، الرباط، 1983، ص. 43.
- ¹⁴ - الحناوي محمد، الأرحاء المائية بالمغرب والأندلس من خلال كتب الجغرافيا والنوازل والحسبة، أعمال ندوة الماء بتانسيغت تاريخ وتقنيات، ص. 99.
- ¹⁵ - البكري، المسالك الممالك، تحقيق أديان ليوفن وأندري فيري، دار الغرب الإسلامي، 1992، ص. 854.
- ¹⁶ - الحميري، مص س، ص. 522.
- ¹⁷ - Tariq Madani, *Les moulins hydrauliques à Fès à l'époque médiévale*, société française d'histoire urbaine, 2008, n 22, p. 16.
- ¹⁸ - Bel Alfred, *Les industries de la céramique à Fès*, Alger ancienne maison bastide-Jourdan. Jules Carbonel. Suce. Imprimeur, libraire, éditeur place gouvernement. Paris, 1918, p. 121.

- 19 - فلاديمير، م س، ص. 33.
- 20- عمر بن عثمان الجرسيفي، رسالة في الحسبة، ضمن ثلاث رسائل في الحسبة، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية بالقاهرة، 1955، ص. 124.
- 21- بول برثي، قصب السكر في المغرب، مجلة البحث العلمي، الرباط، العدد 1، 1964، ص. 35-37.
- 22 - Madani Tariq, op, cit., p.54-55.
- 23 - الحناوي محمد، م س، ص. 109.
- 24- السقطي، في آداب الحسبة، تحقيق حسن الزين، دار الفكر الحديث، بيروت، 1987، ص. 37-38-39.
- 25- ابن عبدون، ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة والمحتسب، تحقيق ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، 1955، ص. 5.
- 26- أبو المطرف، الأحكام، ص. 127.
- 27- الكنتوري عائشة، م س، ص. 90.
- 28- الحناوي محمد، م س، ص. 107.
- 29- الونشريسي أبي العباس، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ-1981م ج 8، ص. 389.
- 30- بنحمادة سعيد، الماء والانسان في الأندلس، خلال القرنين 7 و8 و13 و14م، دار الطليعة، بيروت، 2007، ص. 237.
- 31- البياض عبد الهادي، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك ذهنيات الاندلس والمغرب (ق 6-8هـ / 12-14م)، دار الطليعة، ط 1، بيروت، 2008، ص. 237.
- 32- محمد فتحة، الماء في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني عين الشق، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 11، مطبعة المعارف الجديدة، 1999، ص. 171.
- 33- بنحمادة سعيد، م س، ص. 87.
- 34- ابن رشد محمد بن احمد القرطبي، فتاوى ابن رشد، تحقيق محمد الحبيب التجكاني، دار الجيل، بيروت، 1993، ج2، ص. 1168.
- 35- بوشتي بوعسيرة، الحرف والحرفيون بمكناس من الازدهار إلى الانحطاط 1900 - 1936، مجلة أمل العدد 7، 1996، ص. 53.
- 36-Massignon (R) *Enquêtes sur les corporations musulmanes d'artisans et de commerçants au Maroc d'après les réponses à la circulaire, résidentielle du 15-11-1923* éd. E. le roux.
- 37-بوشتي بوعسيرة مرجع سابق، ص. 49.
- 38- بنيامين حداد، الرحي المائية دراسة مقارنة (العراق - لبنان) المجلد الأول، ع 2، 2010، ص. 37.
- 39-rahwi : meunier d'un moulin à eau (r- rha d -el -ma) Tâhoni : pltwahniya : meunier de moulin à manège actionné par un vieux cheval.
- Georges S. colin, *nom d'artisans et de commerçants à Marrakech* وردت الإشارة عند:
Hespéries 1931. Tom 12. P. 234.
- Meunier. Meunière (latin molinari) adj : personne qui dirige une meunerie ou un moulin. (Le petit la rousse. p. 654.

⁴⁰-Aicha Gantouri, *Le moulin hydraulique de Fès*, université de Pars I, Panthéon-sorbonne, 1989
1990.

pp. 269 - 270

⁴¹ - الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1983، ج 2، ص.

233

⁴² - Aicha Gantouri, op. cit., p.272

⁴³ -Le tourneau R., *La vie quotidienne à Fès en 1906*, paris, 1961, p .84.

⁴⁴ - بن عبد العزيز بن عبد الله محمد، الماء بين الفكر الإسلامي والأدب العربي، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، المغرب،

1996 ج.3، ص. 261

⁴⁵ -Gantouri Aicha, op.cit., p. 273

⁴⁶ - محمد فتحة، معطيات عن الطائفة الحرفية بمغرب ما قبل الاستعمار، مجلة أمل، العدد 7، 1996، ص. 9.

⁴⁷ -Gantouri Aicha op.cit., p .274.

⁴⁸ -Ibid. p. 274.

⁴⁹ - روجيه لوتورنو، فاس قبل الحماية، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1996، ج 1، ص.470-471.

⁵⁰ - المرجع نفسه، ج 1، ص.471.

⁵¹ - نفسه.

⁵² - الحسن الوزان، مصدر سابق، ج 1، ص. 233.

⁵³ - روجيه لوتورنو، فاس قبل الحماية، ج 1، ص. 468.

⁵⁴ -Gantouri Aicha op.cit., p.283.

⁵⁵ - ابن عذاري، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق بشار عواد معروف محمد بشار عواد،

دار الغرب الإسلامي، ط1، 2013، ج 1، ص. 165.

⁵⁶ - الجزنائي، مصدر سابق، ص. 42.

⁵⁷ - ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د.ت، ج 4، ص. 230.

⁵⁸ -Gantouri Aicha op.cit., p. 284 – 285.

⁵⁹ - نفيسة الذهبي، المجتمع الفاسي خلال العهد السعودي الترابية والصراع، مجلة أمل ع 18، 1995، ص. 63.

⁶⁰ - المرجع نفسه، ص. 81

⁶¹ - عبد الإله الفاسي، التشكيلة الاجتماعية لمدينة الرباط خلال القرن التاسع عشر، مجلة أمل ع. 18، ص. 80.

⁶² - أحمد التوفيق، مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن 19 (ابنولتان من 1850 – 1912) ج1، ط 1978

البيضاء، ص. 266.

⁶³ -أحمد التوفيق، المرجع نفسه، ص. 263.

⁶⁴ - روجيه لوتورنو، مرجع سابق، ج1، ص. 314.

- 65- العصور وحدة القياس الحبوب أو الدقيق وتزن حوالي 1.5 كلغ أو كيلوغرامين.
- 66- زيارة ميدانية قمنا بها للمنطقة الواقعة على بعد حوالي 20 كلم من أمزميز، قيادة كدميوة ومياه الرحي مأخوذة من عين إمين تالا التي لا تبعد عن الطاحونة سوى ب 200 متر، تاريخ الزيارة هو يوم 2019/06/28.
- 67- زيارة ميدانية لمنطقة أنكال بنواحي أمزميز 2019/06/28.
- 68- الجزنائي، مصدر سابق، ص. 42.
- 69- ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص. 82.
- 70- عبد الوهاب بن منصور، كشاف أسماء الأسر المغربية، المطبعة الملكية، الرباط، 1972، ص. 8-100.
- 71- ابن الزيات التادلي، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق، أحمد توفيق، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ط 2، 1997، ص. 156، ترجمة المتصوفة، انظر جدوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصورة للطباعة وللوراقة، الرباط، 1973، ص. 266.
- 72- مصطفى بوشعرا، الاستيطان والحماية، المطبعة الملكية 1987، ج2، ص. 752.
- 73-Victor Champion, *Enquête sur la situation des métiers et des industries indigènes de Rabat*, dans bulletin officiel n°223 et 224. 29 Janvier et 5 Février 1917.
- 74-Gantouri Aicha op., cit, p. 288.

قائمة المصادر والمراجع

■ بالعربية

- (ابن القاضي)، جدوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصورة للطباعة وللوراقة، (الرباط: 1973)
- (ابن أبي زرع الفاسي)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بنمنصور، دار المنصورة للطباعة وللوراقة، (الرباط: 1972)
- (ابن الزيات التادلي)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق، أحمد توفيق، ط 2، مطبعة النجاح، (الدار البيضاء: 1997)
- (ابن حوقل)، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، (بيروت: 1992)
- (ابن خلدون عبد الرحمان)، المقدمة، دار الكتب العلمية، ج 1، (لبنان: 2009)
- (ابن رشد محمد القرطبي)، فتاوى ابن رشد، تحقيق محمد الحبيب التجكاني، دار الجيل، ج 2، (بيروت: 1993)
- (ابن عبدون)، ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة والمحتسب، تحقيق ليفي بروفنصال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، (القاهرة: 1955)

- (ابن عذارى)، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق بشار عواد معروف محمد بشار عواد، ج 1، دار الغرب الإسلامي، ط 1، (بيروت: 2013)
- (أحمد التوفيق)، مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن 19 (اينولتان من 1850 - 1912)، ج 1، (الدار البيضاء: 1978)
- (الأنصاري محمد بن القاسم)، الأخبار عما كان بسبب من سني الآثار، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الطبعة 2، (الرباط: 1983)
- (أبو عبيد الله البكري)، المسالك الممالك، تحقيق أدريان ليوفن وأندري فيري، دار الغرب الإسلامي، (لبنان: 1992)
- (بن عبد العزيز بن عبد الله محمد)، الماء بين الفكر الإسلامي والأدب العربي، ج 3، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (المغرب: 1996)
- (بنحمادة سعيد)، الماء والانسان في الأندلس، خلال القرنين 7 و8 و13 و14م، دار الطليعة، (بيروت: 2007)
- (بنيامين حداد)، الرحي المائية دراسة مقارنة (العراق - لبنان)، المجلد الأول، ع 2، 2010.
- (بوشتي بوعسرية)، الحرف والحرفيون بمكناس من الازدهار إلى الانحطاط 1900 - 1936، مجلة أمل، العدد 7، 1996.
- (بول برثي)، قصب السكر في المغرب، مجلة البحث العلمي، الرباط، العدد 1، 1964.
- (البياض عبد الهادي)، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الاندلس والمغرب (ق 6- 8هـ / 12-14م)، دار الطليعة، ط 1، (بيروت: 2008)
- (الجزنائي عل، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، (الرباط: 1991)
- (الحسن الوزان)، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ج 2، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1983.
- (الحناوي محمد)، الأرحاء المائية بالمغرب والأندلس من خلال كتب الجغرافيا والنوازل والحسبة، أعمال ندوة الماء بتانسييفت تاريخ وتقنيات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش، 2002.

- روجي لوتورنو، فاس قبل الحماية، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت (لبنان: 1996)
- (السقطي)، في آداب الحسبة، تحقيق حسن الزين، دار الفكر الحديث، بيروت: 1987.
- (عبد الإله الفاسي)، التشكيلة الاجتماعية لمدينة الرباط خلال القرن التاسع عشر، مجلة أمل، العدد 18، 1995.
- (عبد الوهاب بن منصور)، كشف أسماء الأسر المغربية، المطبعة الملكية، (الرباط: 1972)
- (عمر بن عثمان الجرسيفي)، رسالة في الحسبة، ضمن ثلاث رسائل في الحسبة، تحقيق ليفي بروفنصال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، (القاهرة: 1955)
- (فلاديمير كارستيف وبيوتر خازانوفسكي)، آلاف السنين من الطاقة، ترجمة محمد غيات الزيات، عالم المعرفة، العدد 187، 1994.
- (كنتوري عائشة)، الرحي المائية بفاس، أعمال ندوة الماء بتانيسفت: تاريخ وتقنيات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش، 2002
- (مجهول)، الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، د.ت.
- (محمد بن عبد الجليل)، مياه فاس: واد فاس وروافده، أعمال ندوة الماء بتانيسفت: تاريخ وتقنيات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش، 2002.
- (محمد فتحة)، نازلة وادي مصمودة بفاس مثالا عن النزاعات حول الماء، الماء في تاريخ المغرب، أيام 10-11-12 دجنبر 1996، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني عين الشق، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 11، مطبعة المعارف الجديدة، 1999.
- (محمد فتحة)، معطيات عن الطائفة الحرفية بمغرب ما قبل الاستعمار، مجلة أمل، العدد 7، 1996.
- (مصطفى بوشعرا)، الاستيطان والحماية، المطبعة الملكية، (الرباط: 1987)
- (نفيسة الذهبي)، المجتمع الفاسي خلال العهد السعدي التراتبية والصراع، مجلة أمل، العدد 18، 1995.

- (الونشريسي أبي العباس)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، دار الغرب الإسلامي، (بيروت: 1401هـ-1981م)
- (ياقوت الحموي)، معجم البلدان، دار صادر، (بيروت، د.ت.)
 - بالفرنسية
- (Aicha Gantouri), **Le moulin hydraulique de Fès**, université de Pars I, Panthéon-(sorbonne, 1989 1990)
- (Bel Alfred), **Les industries de la céramique à Fès, Alger ancienne maison bastide-Jourdan. Jules Carbonel. Suce**, Imprimeur, libraire, éditeur place gouvernement.(Paris: 1918)
- (Fierro Alfred), **Histoire dictionnaire des 300 moulins de paris**, édition programme/compagnie parisienne du livre, (paris :1999)
- (Georges S. colin), **nom d'artisans et de commerçants à Marrakech**, Hespéries, Tom 12, 1931.
- (Le tourneau R.), **La vie quotidienne à Fès en 1906**, (paris : 1961)
- (Massignon .R), **Enquêtes sur les corporations musulmanes d'artisans et de commerçants au Maroc d'après les réponses à la circulaire**, résidentielle du 15-11-1923 éd. E. le roux.
- (Tariq Madani), **Les moulin hydraulique à Fès à l'époque médiéval**, société française d'histoire urbaine, 2008, n 22.
- (Victor Champion), **Enquête sur la situation des métiers et des industries indigènes de Rabat**, dans bulletin officiel n°223 et 224. 29 Janvier et 5 Février 1917.